العرب
السبت 2021/08/14
السنة 44 العدد 12148

لوحات سمكو أحمد حكايات لجراح لا تندمل

فنان عراقي يستشرف المجرد من عوالم يمتزج فيها التاريخ بالألوان

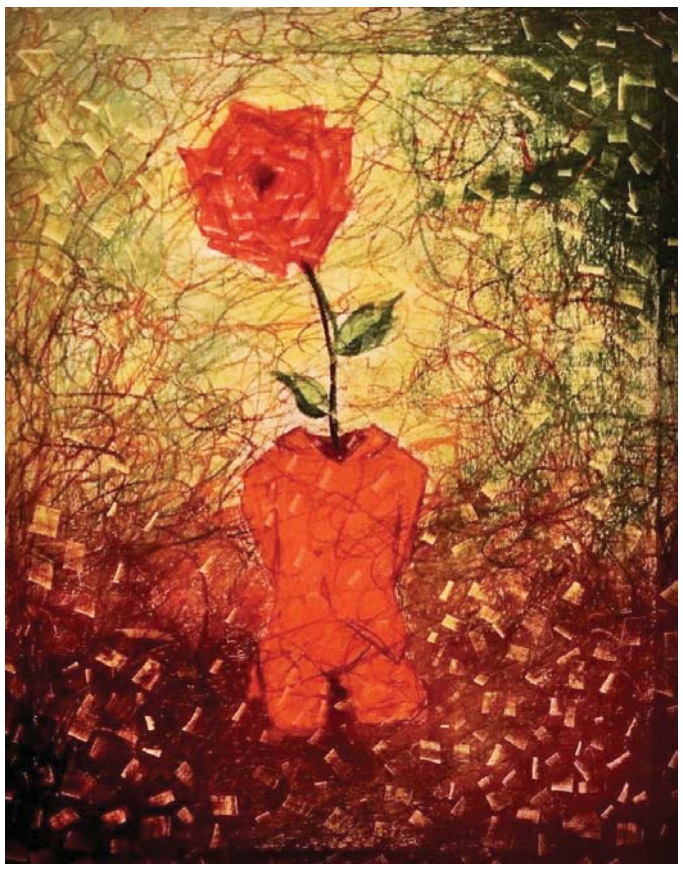

إعدام وردة

تتّخذ أعمال الفنان الكردي العراقي سمكو أحمد في مجملها طابعا سرياليا، وهو الذي يتّبع من خلالها أسلوب الواقعية الساحرة، جامعا في لوحاته بين المطالب الحقوقية للإنسان عامة، باعتباره أحد العاملين في الإغاثة الإنسانية، وبين رؤاه الجمالية التي تفيض بحساسية خاصة تجاه وطنه ومعاناة أهله من ويلات الحرب.

غريب ملا زلال
كاتب سوري

سمكو أحمد فنان تشكيلي من كردستان العراق، شاءت الصدف أن يكون عمله في اليابان كمهندس وهناك درس الفن في معهد الفنون الجميلة بطوكيو عام 1998، ومنذ ذلك التاريخ وهو عضو في مركز جالا الفني (مجلس الإدارة اليابانية للفنون الدولية/ اليابان وآسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية) الذي يضم في عضويته أكثر من ستمئة فنان وفنانة ومن مختلف دول العالم.

وفي هذا المركز صالة خاصة أو جناح خاص بالفنانين التشكيليين الكرد باسم كردستان يتم العرض فيه سنويا ما بين خمسين وستين عملا للفنانين الكرد ذاتهم، ولسمكو الدور الأكبر في ذلك، فهو المسؤول عن الاعتناء والاختيار للأعمال الفنية من الشرق الأوسط وأميركا اللاتينية.

انفجار عذب

الفنان الكردي العراقي يبرز العلاقة ما بين اللوحة كعمل فني والبعد الرابع كفاعل يثير القول البصري عفويا بوصفها لا كتقليص لزاوية النظر بل كاتصال معرفي منه ينبثق من قواعد القراءة والتأويل ويرسي حالاته على حالات باتت مألوفة في إنتاج المعطيات الحسية التي تخصّ هويته، والتي تتصل بفضاءاته ذات الملامح التي تدل على قدرته في استشراف المجرد والمدهش من عوالم محشوة بالتاريخ والألوان.

وهو يأخذ على عاتقه دراسة مجموعة علامات قد تكون أبجدية حياة داخل حياة، فالوحدات اللونية عنده منطوقة بسلسلة من التجاورات تحكمها بدورها مجموعة علاقات تؤدّي حتما إلى تدعيم سياقاته باعتبارها مضمونا زمنيا مرتبطا على نحو كبير ببداية ونهاية إدراكه لفضائه كواقعة بصرية يفترض قراءتها في اللحظة ذاتها، فرائحة إرسالياته حينها تكون متفاعلة جدا مع الأبعاد كلها، خاصة تلك العمودية منها المرتبطة بألوان خاصة في زاويتها المنفرجة، المائلة الباردة التي تنتقل بنفس روحاني، والأفقية الحارة التي تجمع دلالات في حالتي السعادة والتعاسة.. إلخ.

فهو يمنح الصمت ألوانا قادرة على توليد حقول لا متناهية من الدلالات باعتباره تعبيرا تشكيليا، وكلاما لا ينتهي، فالتركيز على مشهده البصري يبدأ من الطواف في الحواف أولا، ثم الانعطاف نحو مركز العمل أو ما يسمّى بؤرة العمل، وهنا يكون الانفجار العذب الذي يجنح بدوره إلى الارتباط بالممارسة الإنسانية بوصفها حالة إبداعية في حالتها القصوى.

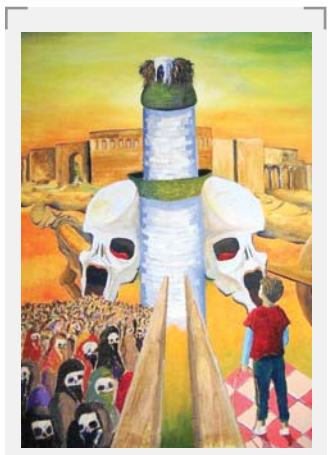

الفنان الكردي العراقي يبرز العلاقة ما بين اللوحة كعمل فني والبعد الرابع كفاعل يثير القول البصري عفويا

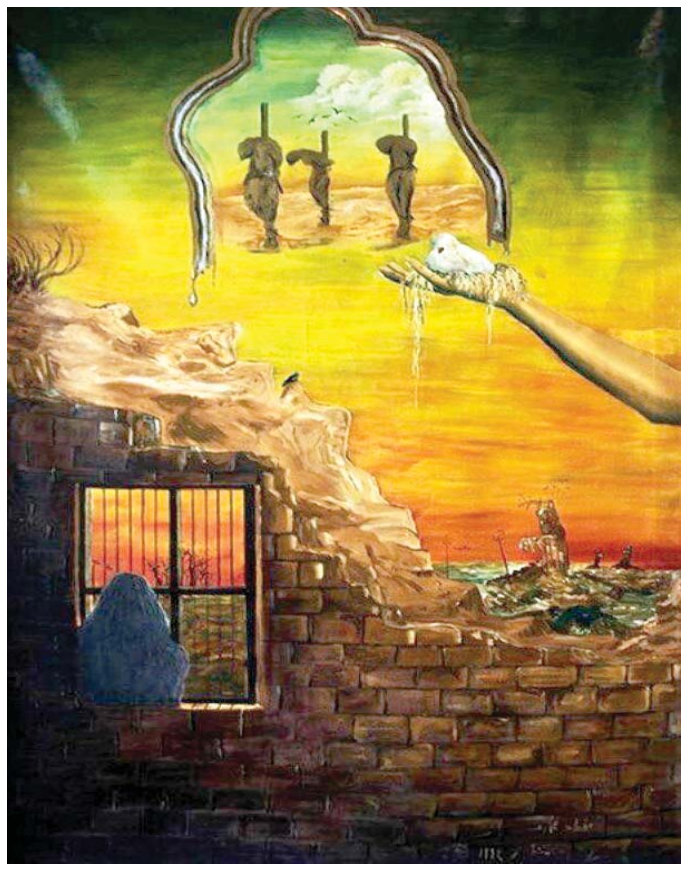

سريالية بأبعاد إنسانية

وفي ذلك يقول أحمد "الفن رسالة إنسانية وملونة، حيث تتراقص أصابع الخلق على أصوات الفكرة، والجمال والواقع".

من هناك يبعث الفنان العراقي رسائله بإدراك متّسع إلى الضمير الإنساني مفادها أن النور الموجود في العيون، والحب الموجود في قلوب البشر يسافرون على طرق التاريخ الحقيقية والعريضة.

وهو يرى أنه "إذا لم تكن رسالة الفنان تتعلق بشؤون الإنسان ومعنى الحرية والمساواة، فبوابة التاريخ لن تنفتح أبدا، وسيظل الفنان خارج التاريخ وجاهلا بالمستقبل".

حكاية البسطاء

أحمد يروي لنا حكايته البصرية بشغف زائد أشبه بشغف الجائع لطريدته، فيفتح قوسين من لون بينهما بياض عليه يروي حكايته البصرية تلك، حكاية فيها من الحزن والسجال الشيء الكثير، فيقدّم نماذج بشرية لا تكفي الآلاف من المقالات الصحافية في رصدها وسردها، إلاّ أنه يفعلها باللون ويلخّصها بالبرتقالي ويرصدها بالسرد الذي يقف وراء تكويناته البصرية المشبعة بالواقعية السحرية، بل الأقرب إلى السريالية.

حكايته هي حكاية البسطاء على هذه الأرض، الصائمون عن الكلام والهواء، فثمة مستحقات عليه، محفوظة في السجل الطويل، وهذا ما يدفعه لمراقبة الضوء وهو يتشظى في أسطحه فارضا عليها الصياغة بتفاعلية زمكانية/ روحية وبانقياد نحو إنتاج المشهد ذاته للقبض على المجمرة التي ترتادها المغامرة ورموزها.

وهو يقول "نحن بحاجة إلى لسان حر حتى ننشد أنشودة حرة؛ وعلينا كسر الأغلال التي تكبل أيادينا حتى نتمكن من الرسم بصدق".

هكذا ينتج أحمد بنبرة المتحمس للرغبة اللامتناهية أشكالا من التعبيرية المختلفة ترتبط إلى حد كبير بحقول تيارات متعدّدة بتناقضاتها الكثيرة والمتغيرة، ويمكن القول في هذا الجانب إن مستوى تكويناته بعناصرها المجردة قد تتحوّل إلى حامل لدلالاتها تسهل عليه تحديد البؤرة ورصد تموجاتها وهي تنتقل من دائرة ضيقة إلى تنويعات ممكنة.

كل ذلك يحصل عنده وفق استراتيجية تمليها عليه تلك الفرضيات التي تنتج عبر أنامله وتثير اهتمامه واهتمامنا معا، والتي تستند على قيم جمالية يسعى جاهدا لتحقيقها أولا وترسيخها ثانيا، وفق مهارات قابلة للاشتغال عليها من خلال استعمال عناصر منسجمة إجرائيا، متناظرة انتقائيا، تبعا لاستثمار المضامين وتجديدها، بل توليدها مع الانحياز التام لمقولاته التي ستشكل منطق بناء لوحته/ عمله، وعليها يعلق الكثير من محاوراته الصامتة.

ولا يتجاهل أحمد ما يجري حوله من خراب الإنسان وتدميره، فكل ما يجري حوله هو سريالي على نحو ما، وهذا ما دفعه إلى التعبير عن ذلك بذات اللغة، أي بسريالية تمسّ عمق العلاقة ما بين الإنسان والإنسان، فلا يكتفي بإحصاء العلامات التي تتسرّب من الذهن إلى بياض العمل، بل ينتج تقابلات تفضي بالزمن المتحوّل في الجسد الفائض بالمعنى إلى جزيئات الحياة وهي عارية إلاّ من لحظة موتها، وهذه قد تكون جوهر حكايته التي يمسك بها كواقعة دالة والتي سردها لنا وما يزال.

وسمكو أحمد فنان كردي متخصّص في الفنون الجميلة، ولد في السليمانية، جنوب إقليم كردستان العراق، درس الهندسة المدنية في جامعة صلاح الدين في تسعينات القرن الماضي، ثم حصل على درجة الماجستير في التصميم والهندسة من جامعة طوكيو عام 2003، وخلال الفترتين التحق بمعهد الفنون الجميلة في طوكيو عام 1998.

سمكو أحمد يمنح الصمت ألوانا قادرة على توليد حقول لا متناهية من الدلالات والكلمات

وشارك الفنان في أكثر من خمسين معرضا وبينالي فنيا حول العالم، على غرار بينالي جالا في متحف طوكيو متروبوليتان، كما شارك في أكبر بينالي في آسيا وهو كوناجو بينالي في كوريا الجنوبية، ومان بلاس سبيس 2000 جالا بينالي في متحف سيول متروبوليتان، وتايوان، وغيرها من الفعاليات.

وهو إلى جانب اهتماماته التشكيلية، أحد عمال الإغاثة الإنسانية، حيث عمل لسنوات ضمن منظمة "بيس ويندز جابان" اليابانية غير الربحية، وانتقل للإقامة في طوكيو عام 1996، ويشارك في مشروعات إنسانية حيث يعمل مهندسا مدنيا لمساعدة المجتمعات المحلية في إعادة بناء بنيتها التحتية خلال الحروب أو الكوارث الطبيعية أو بعدها، كذلك شارك في الكثير من البعثات إلى صراعات البلقان في كردستان وكوسوفو والبوسنة وألبانيا وليبيريا وسيراليون وأفغانستان وباكستان وغيرها.

تيسير البطنيجي.. فنان الفراغ المتوغّل عميقا في الذاكرة الفلسطينية

باريس – يتواصل حتى التاسع من يناير من العام 2022 في متحف الفن المعاصر بالعاصمة الفرنسية باريس معرض الفنان الفلسطيني تيسير البطنيجي المعنون بـ"ما أمكن انتزاعه من الفراغ الذي يتوغّل". وهو حصيلة خمسة وعشرين عاما من أعمال الفنان الذي ولد عام 1966 في غزة، ويقيم حاليا في باريس.

وتأتي أهمية هذا المعرض من أنه يعرض في مكان واحد، وعلى امتداد نصف عام مجموعة مختارة من أكثر من خمسين عملا فنيا من أعمال البطنيجي التي تنوّعت بين التصوير الفوتوغرافي والفيديو والرسم والرسم التخطيطي/السكتش والعمل التركيبي والفن الأدائي، بالإضافة إلى أعمال جديدة تُعرض للمرة الأولى.

ويستكشف البطنيجي فكرتي الفقد والذاكرة في جل أعماله التجهيزية/ المفاهيمية، خاصة في عمله المرجعي "إلى أخي" (2012)، وهو سلسلة من ستون رسمة دون حبر محفورة على الورق.

ويعتمد الفنان على صور عائلية لحفل زفاف شقيقه ميسرة للاحتفاء بذكراه، فقد توفّي الأخ بعد عامين من زفافه، برصاص قناص إسرائيلي خلال الانتفاضة الأولى في فلسطين عام 1987.

وتوحي رسومات البطنيجي الحميمية من بعيد بصفحات بيضاء فارغة، لكن الاقتراب منها يُفصح عن سرديات عائلية واحتفالية دافئة، محفورة على الورق تتضمّن أشخاصا يرقصون يدا بيد ويتعانقون، ورجالا ونساء وأطفالا يتضاحكون، وعريسين يجولان بين المحتفلين والمدعوّين ويلتقطان معهم الصور.

وتأتي تلك الخطوط التي حُفرت بها مشاهد البهجة والاحتفالات العائلية لتُثير في النفس أسى الخسارة والفقد، وتلك مشاعر تتخطّى النزاعات المحلية والسياسية.

وتحضر ثيمات الغياب والذاكرة والهوية في معظم أعمال الفنان الفلسطيني، حيث ترتبط بالنسبة إليه بالتنقّل والترحال والمنفى، من خلال تفكيكه الدائم لمجموعة من الأشياء والمتعلّقات الشخصية وإعادة إنتاجها ضمن رؤية تجريدية توضّح موقع التاريخ والفن في مواجهة الاحتلال.

وفي ذلك يقول الفنان الفلسطيني "اتجهت منذ استقراري في أواسط التسعينات بفرنسا إلى التجريد أو التبسيط، حيث اختفى في لوحاتي شيئا فشيئا أيّ تمثيل مباشر أو غير مباشر للواقع، حتى بدأت أغطي لوحاتي باللون الأبيض بعد الانتهاء منها، أي تختفي اللوحة ولا يبقى منها إلاّ مساحات صغيرة متناثرة هنا وهناك، إلى أن توقفت عن الرسم بمفهوم اللوحة".

ويوضّح "بدأت أشعر أنّ اللوحة ليست قادرة على استحضار الأشياء التي أودّ أن أعبّر عنها في أعمالي، هنا بدأت أتجه إلى اكتشاف وسائط أخرى، كالتركيب والنحت، ومن ثم التصوير الفوتوغرافي، حيث باتت تحتل الصورة الفوتوغرافية أو الفيديو منذ العام 2000 مكانا مهما في أعمالي".

ومع ذلك لم يتوقّف البطنيجي تماما عن الرسم وخصوصا الرسم على الورق، حيث أن الرسم بالنسبة إليه "مساحة حرة للبحث والتفكير والتأمل".

في جانب من المعرض تحضر مجموعة "انقطاعات" المكوّنة من مجموعة من الصور لشاشة الموبايل أثناء محادثات "واتس آب" أجراها الفنان مع عائلته في غزة بين الرابع والعشرين من أبريل 2015 والثالث والعشرين من يونيو 2017. صور مشوّشة بسبب رداءة شبكة الاتصال، تزّج بالمُشاهد في ذلك الفضاء الذي يختلط فيه التواصل الأسري بالصراع. واللقطات المعروضة هنا مؤرّخة طبقا لموعد حدوثها، حيث تمكن ملاحظة مدى التشابه بين سوء الاتصال ومواعيد الأحداث العنيفة التي تتكرّر في غزة.

في هذا العمل يقدّم البطنيجي مقطعا من هذه العلاقة الحميمة التي تمتد بين عالمين، فهو تارة يرى والدته وتارة يشهد على اختفائها، كما تصوّر لقطات أخرى مشاهد كثيرة من الحرب، تحيل إلى ذلك الفضاء الذي يختلط فيه الخاص بالعام.

وهناك أيضا "تابولا غزة" المكوّنة من صورة لطاولة كانت مخصّصة للعبة الدومينو، في "جمعية الشبان المسيحية" بغزة، صوّرها البطنيجي عام 2005 عندما بدأت ألوان الفورميكا تختفي بسبب اللعب، معروضة إلى جانب الطاولة نفسها، حيث أحضرها من غزة عام 2013. اختفت الفورميكا تماما من وسط الطاولة محدثة هالة بيضاء تتوسّطها هالة أخرى يظهر فيها لون الخشب، هي أعمال تجهيزية تجسّد بعمق لفكرة الرحيل، البعد والمنفى والعلاقة مع المكان.

تيسير البطنيجي

الرسم لم يعد قادرا على استحضار ما أود التعبير عنه، فاتجت إلى التجهيز

وفي تجهيزه الفني الأدائي "حنّون" (1972 – 2009)، يفرش البطنيجي على الأرض مئات التسنينات ذات الأطراف الحمراء الناتجة من تسنين أقلام رصاص. اللافت هو التاريخ الذي يعطيه البطنيجي لعمله "حنّون" عام 1972، كان الفنان حينها يبلغ من العمر ستّ سنوات لا غير، وهو المولود في غزة في العام 1966، لا بدّ من أنه العمر الذي كان فيه يسنّن أقلام الرصاص مرارا وتكرارا هربا من تنفيذ واجباته المدرسية خلال عطلة الصيف.

أما العام 2009 فهو العام الذي قدّم فيه للمرة الأولى ذاك التجهيز الفني في بينالي البندقيّة الثالث والخمسين ضمن جناح خاص مكرّس لفلسطين. كأنّ فعل تسنين أقلام الرصاص لم يتوقف من حينها، منذ أن كان طفلا يُحاول الهرب من إنجاز واجباته الصيفية العبثية، إلى محاولة هروبه وهو فنان ناضج من إنجاز قراءة مباشرة للأحداث اليومية في وطنه.

ليس الهروب هنا، جبنا، بل بحث في الفعل المتكرّر، فعل لجأ إليه الفنان في العديد من أعماله السابقة. وهنا يحاول عبره أن يبحث عن قراءة بديلة، من مساحة شاعرية وهشّة معلقة بين الفعل ونتيجته.

ودرس تيسير البطنيجي الفنون في جامعة النجاح بنابلس قبل أن يحصل على منحة للدراسة في فرنسا عام 1994، استمر على إثرها بالتنقل بين البلدين، حتى أُغلقت المعابر المؤدية إلى غزة نهائيا في العام 2006 نتيجة الحصار، فاختار الفنان البقاء في منفاه.

محاولات بصرية لتعقّب الغياب